بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وأهل بيته الطاهرين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولاقوه إلا بالله العلي العظيم.

التنمر ضد المرأة والشباب الجامعي والمتدينين

المقدمة: يتناول البحث مفهوماً من أهم المفاهيم، بل ظاهرة من أهم الظواهر التي أرقّت البشرية على امتداد التاريخ، وهي ظاهرة التنمّر على الآخرين، ويقوم البحث بمقارنة هذا المصطلح بمصطلح ﴿**هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾ الوارد في القرآن الكريم، ليشير إلى بعض الإحصاءات المؤسفة من نسبة التنمّر على مستوى العالم، مذكّراً بأنواعه وتجلياته الكثيرة، لينتقل إلى محاكمة التنمّر على مستوى النصوص، ليختم الفصل الأول بالأثر الوضعي للتنمّر على المتنمّرين، مشيراً إلى قصة من أعظم الشواهد التاريخية على عودة التنمّر بأقسى صوره على المتنمّر.

لينتقل البحث في الفصل الثاني إلى خصوص التنمّر على المتدينين، تارة بالتشكيك في فائدتهم، وأخرى بطرح بعض الشبهات، واستعرض البحث أقوال بعض كبار علماء الغرب في كون الحضارة الغربية مدينة للمسلمين، وأنّهم كانوا تلامذتنا طوال ٥٠٠ سنة، ليختم البحث بطرح أجوبة مهمّة خمسة على سؤال: هل يدخل أينشتاين وغيره ممن خدم البشرية النار؟ وكيف يعقل ذلك؟

ليوضح البحث بدواً بأنّنا لا نحكم على الأشخاص أبداً؛ إذ لا نعلم خفايا أفعال الإنسان ونواياه ومجمل إيجابياته وسلبياته، ليشير إلى أجوبة أربعة أخرى لاحقة تستحق الدراسة والتأمل.

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**[١]﴾.

والهمزة فُعَلَة صيغة مبالغة أي كثير الهمز واللمذة فهو نظير ضُحَكة أي كثير الضحك ونُكَحة أي كثير النكاح.

دائرة واسعة لمعاني الهمزة اللمزة

والهمزة اللمزة قد اختلف المفسرون في معناها والجامع هو الطعّان الذي يطعن في أعراض الناس والمغتاب الغيّاب أي مَن يكثر مِن الغيبة، والنمّام كثير التفرقة بين الأحبة وقيل: (الهمزة الذي يهمز الناس بيده،

١ الهمزة: ١.

ويضربهم. واللمزة. الذي يلمزهم بلسانه وبعينه)[1].

قال في المجمع: الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب، وأصل الهمز الكسر.

قال: واللمز العيب أيضاً والهمزة واللمزة بمعنى، وقد قيل: بينهما فرق فإن الهمزة الذي يعيبك بظهر الغيب، واللمزة الذي يعيبك في وجهك. عن الليث.

وقيل: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه

ويشير برأسه ويومئ بعينه)[2].

وقال الراغب: (الْهَمْزُ كالعصر. يقال: هَمَزْتُ الشيء في كفّي، ومنه: الْهَمْزُ في الحرف، وهَمْزُ الإنسان: اغتيابه. قال تعالى: ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**[3]﴾، يقال: رجل هَامِزٌ، وهَمَّازٌ، وهُمَزَةٌ.

قال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ**﴾

وقال تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ**[4]﴾)[5].

وفي تفسير القمي: (﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ**﴾ قال: الذي يغمِزُ الناس ويستحقر الفقراء، وقوله ﴿**لُمَزَةٍ**﴾ الذي يلوي عنقه ورأسه ويغضب إذا رأى فقيراً أو سائلاً)[6]

الفصل الأول: التنمر معناه ونطاقاته

ولعلّ أقرب مفهوم إلى مفهوم الهمزة واللمزة هو مفردة (التنمّر) و(المتنمّر) في المصطلح الحديث، والتنمّر يعني التشبّه بالنمر في عدوانيّته وهجومه وجارحيّته.

وللتنمّر تاريخ طويل، إذ يبتدئ بتنمّر قابيل على هابيل، بل ومن قبل تنمّر إبليس على آدم وحواء، مروراً بجميع الرسل، إذ كان الكفّار وقومهم يتنمّرون عليهم، وصولاً إلى العصر الحديث.

وللتنمّر عرض عريض، إذ يشمل جميع المفاهيم التالية:

* الاستهانة بالغير واحتقاره والازدراء به.

---

١ الشيخ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت: ج١٠ ص٤٣٩.

٢ المصدر: ص٤٣٨.

٣ القلم: ١١.

٤ المؤمنون: ٩٧.

٥ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دار الشامية: دمشق ـ بيروت: ج١ ص٨٤٦.

٦ علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، دار الكتاب ـ قم: ج٢ ص٤٤١.

* السخرية بالآخرين والاستهزاء بهم والتهكّم عليهم.

* الاستعلاء على الآخرين والانتقاص منهم والاستقواء عليهم أو استغلالهم.

* استفزاز الغير ومشاكسته ومضايقته.

* التمييز والتهميش والنبذ والعزل الاجتماعي.

* كسر الخاطر، وهدر الكرامة، وتشويه السمعة والتشهير، ونشر الإشاعات الكاذبة ضد الآخرين وإشاعة الفاحشة.

* الاعتداء اللفظي أو البدني.

ومن مصاديق التنمّر على المرأة مثلاً إهانتها أو إذلالها؛ لأنّها قد تأخّر زواجها، أو احتقارها لأنها تزوّجت ولم تُنجب، أو صارت أرملة أو مطلّقة أو غير ذلك.

ومن مصاديق التنمّر على الشباب أو النساء أو غيرهم: السخرية من ملابسهم العتيقة أو حتى تلك التي لا تجاري الموضة، أو نقّالهم غير المتطوّر جدّاً، أو حتى ساعة يدهم وحذائهم!

ومن المصاديق: السخرية من شكل الرجل والمرأة، ويُنقل أنّ ابن المقفّع، الأديب الشهير، كان إذا دخل على والي البصرة، سفيان بن معاوية، سلّم عليه بهذه الصيغة: (السلام عليكما)! معيراً إيّاه بأنفه؛ لأنّه كانت له أنف كبيرة، فيسخر منه بأنّه يسلّم عليه وعلى أنفه الكبيرة!

التنمر كظاهرة عالمية

ولقد أضحى التنمر ظاهرة عالمية خطيرة وهذه بعض الإحصاءات عن التنمر في العالم ثم التنمر في النجف كنموذج بارز:

- (نحو ٣٢٪ من الطلاب تعرضوا للتنمر من أقرانهم في المدرسة مرة واحدة على الأقل خلال الشهر السابق للمسح.

أي نحو طالب من كل ثلاثة طلاب.

شملت قاعدة الأدلة المستخدمة في التقرير مسوحاً من ١٤٤ دولة وإقليماً)[1]

- (إحصاءات منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٢٤م

نشرت منظمة الصحة العالمية في إقليم أوروبا تقريراً استند إلى مسح ٢٠٢١ -٢٠٢٢، شمل أكثر من

١ تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) الصادر عام ٢٠١٩م.

٢٧٩ ألف مراهق في ٤٤ دولة وإقليماً، من الفئات العمرية ١١ و١٣ و١٥ سنة.

وكانت النتائج:

المؤشر	النسبة
تعرضوا للتنمر في المدرسة	١١٪
تعرضوا للتنمر الإلكتروني	١٥٪
مارسوا التنمر الإلكتروني ضد الآخرين	١٢٪
مارسوا التنمر المدرسي ضد الآخرين	٦٪
شاركوا في عراك جسدي	١٠٪

- (دراسة اليونيسف في ٣٠ دولة

في سبتمبر ٢٠١٩، نشرت اليونيسف نتائج استطلاع عبر أداة U-Report، شارك فيها شباب من ٣٠ دولة.

قال نحو واحد من كل ثلاثة شباب إنهم تعرضوا للتنمّر الإلكتروني.

أفاد واحد من كل خمسة بأنهم تغيبوا عن المدرسة بسبب التنمّر الإلكتروني والعنف.

أشار ما يقارب ثلاثة أرباع المشاركين إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي من أكثر الأماكن شيوعاً للتنمّر الإلكتروني)[١].

- (التنمّر الإلكتروني في ازدياد

وفق تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٢٤، عند مقارنة نتائج مسحي ٢٠١٧-٢٠١٨ و٢٠٢١-٢٠٢٢:

المؤشر ٢٠١٧-٢٠١٨ و٢٠٢١-٢٠٢٢

الذكور الذين أفادوا بتعرضهم للتنمّر الإلكتروني ١٢٪ ١٥٪.

الإناث اللاتي أفدن بتعرضهن للتنمّر الإلكتروني ١٣٪ ١٦٪.

الذكور الذين أفادوا بممارسة التنمّر الإلكتروني ١١٪ ١٤٪.

---

١ المصدر: اليونيسف – أكثر من ثلث الشباب في ٣٠ دولة تعرضوا للتنمّر الإلكتروني.

الإناث اللاتي أفدن بممارسة التنمّر الإلكتروني ٧٪ ٩٪.

تشير هذه المقارنة إلى ارتفاع المؤشرات المذكورة في البلدان والأقاليم المشمولة بالدراسة)[١].

التنمر على الطلاب في النجف

- (نشرت مجلة الأنبار الطبية دراسة بعنوان:

Prevalence of Bullying among Primary School Pupils in Al-Najaf City, Iraq

للباحثين عصام نجم عبد الشبلي وميثم سالم النصراوي، في المجلد ٢١، العدد الأول، عام ٢٠٢٥، الصفحات ٢٢-٢٨.

منهج الدراسة

أجريت الدراسة بين سبتمبر ٢٠٢٣ وابريل ٢٠٢٤

شملت ١٢١٦ تلميذاً وتلميذة.

استهدفت تلاميذ الصفين الخامس والسادس الابتدائيين في مدارس مختارة بمدينة النجف.

اعتمدت المقابلات المباشرة والاستبيان.

النتائج المنشورة

المؤشر النسبة

النسبة الإجمالي التي صنفتها الدراسة ضمن أدوار التنمر ٨١,٧٪.

تعرضوا للتنمّر ٣٧,٣٪.

مارسوا التنمّر ٣,٥٪.

كانوا متنمّرين وضحايا في الوقت نفسه ٤١٪

لم يصنفوا ضمن الضحايا أو المتنمّرين ١٨,٣٪)[٢].

ولعل في الدراسة مبالغة، ولكن أصل الموضوع مؤلم ومؤسف.

التنمر في بغداد

---

١ المصدر: تقرير منظمة الصحة العالمية عن التنمّر والعنف بين الأقران.

٢ المصدر الأكاديمي الأصلي: دراسة انتشار التنمّر بين تلاميذ المدارس الابتدائية في مدينة النجف.

– (دراسة أخرى عن التنمّر في بغداد

نُشرت عام ٢٠٢٤ دراسة بعنوان

.Prevalence of bullying among pupils in Baghdad

وهي دراسة مقطعية شملت ١٠٠٠ تلميذة وتلميذة، تراوحت أعمارهم بين ٩ و١٥ سنة، في ٥٠ مدرسة ابتدائية في جانب الكرخ من بغداد. وجُمعت البيانات بين أكتوبر ٢٠١٨ ومارس ٢٠١٩.

١٤,٦٪ أفادوا بأنهم تعرضوا للتنمّر.

٢,٩٪ صُنّفوا ضمن المتنمّرين.

٥,٩٪ كانوا ضحايا ومتنمّرين في الوقت نفسه.

أفاد نحو ٢٠٪ بأنهم تعرضوا للركل أو الدفع أو الضرب من تلاميذ آخرين خلال الشهر السابق)[١].

– (دراسة PISA ٢٠٢٢؟

وفق نتائج البرنامج الدولي لتقييم الطلبة (PISA) لعام ٢٠٢٢، أفاد نحو ٢٠٪ من الطلاب، في المتوسط عبر دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، بأنهم تعرضوا للتنمّر على الأقل بضع مرات في الشهر.

ووجد التقرير اختلافات كبيرة بين البلدان والأنظمة التعليمية.

ومن أمثلة التنمّر التي تناولها:

السخرية من الطالب.

نشر الشائعات عنه.

استبعاده عمداً من الأنشطة.

تهديده.

أخذ ممتلكاته أو إتلافها.

ضربه أو دفعه.

الشعور بعدم الأمان إلى درجة التغيب عن المدرسة)[٢].

---

١ المصدر: دراسة انتشار التنمّر بين التلاميذ في بغداد – PubMed.

٢ المصدر: منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية – نتائج PISA ٢٠٢٢، الحياة المدرسية والدعم الأسري.

التنمّر على مستوى النصوص الدينية

والتنمّر بمعنى إهانة المؤمن أو إذلاله ونحو ذلك، من المحرّمات الأكيدة، بل اعتُبر التنمّر على مَن والى الله تعالى وأولياءه، بمنزلة إعلان حرب على الله تعالى، فقد ورد:

عن أبي سعيد القمّاط، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «**لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) قَالَ: يَا رَبِّ، مَا حَالُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَكَ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ**[1]»، والبروز إلى حرب الله تعالى من أعظم الكبائر.

وعن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «**لِيَأْذَنْ بِحَرْبٍ مِنِّي مَنْ أَذَلَّ عَبْدِي، وَلْيَأْمَنْ غَضَبِي مَنْ أَكْرَمَ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ**[2]».

لا تتنمّر فيُتنمّر عليك!

و(التنمّر) خطير جدّاً على مستوى المجتمع، بل إنّه خطير على الشخص نفسه؛ إذ (والدهر بالإنسان دواريّ)، ولذا نقول: لا تتنمّر على أحد فيُتنمّر عليك، فمن تنمّر على زوجته سلّط الله عليه من يتنمّر عليه، وقد يكون زميله أو منافسه أو رئيسه في الشركة أو في الوزارة، وإذا تنمّرت الحكومة على الشعب، سلّط الله عليها حكومة أخرى تتنمّر عليها، وهكذا.

وفي قصة محمد بن عبد الملك الزيات عبرة من أعظم العِبَر:

قصة الزيات والتنور مليء بمسامير حادة

فقد كان محمد بن عبد الملك الزيات قد صنع تنوراً من الحديد، وجعل في داخله مسامير حادة، وكان يُعذّب فيه من يريد التنكيل بهم؛ حيث لا يستطيع من يُوضع فيه أن يستريح أو ينام دون أن تؤذيه المسامير.

ثم لما تولّى المتوكل الخلافة، أمر بالقبض عليه وتعذيبه، فأُدخل في التنور الذي كان قد أعدّه لتعذيب الآخرين، وبقي فيه حتى مات شرّ ميتة.

وتُنقل عن الذين عذبوه عبارة ذات دلالة بالغة حين طلب الرحمة، فقيل له: «وهل رحمتَ أحداً قط؟!»

وكانت بداية الانتقام الإلهي منه أنّه (بعث إلى داره، فأخذوا جميع ما فيها من متاع وجوار وغلمَان ودواب، وأمر أحمد بن أبي خالد بقبض ضياعه وضياع أهل بيته، فكان الذي أخذ منه قيمته تسعون ألف

---

١ الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران: ج٢ ص٣٥٢.

٢ أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، دار الكتب الإسلامية ـ قم: ج١ ص٩٧.

دينار[1].

ثم قُيِّد، فامتنع عن الطعام وكثر بكاؤه، ثم سوهر، ومنع من النوم بمسلة ينخس بِهَا، ثم أمر بتنور من حديد فيه مسامير إلى داخله، فأدخل فيه، وهو الذي كان صنعه ليعذب به من يطالب بأمر.

فجعل يقول لنفسه: يا محمد بن عبد الملك، لم تقنعك النعمة والدواب الفارهة والدار النظيفة، وأنت في عافية حتَّى طلبت الوزارة، ذق ما عملت بنفسك![2].

وقد روينا أنه كان يقول: الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة، ما رحمتُ شيئاً قط.

فلمَا وضع في التنور قال: ارحموني، قالوا له: وهل رحمت شيئا قط؟[3]...).

(قال المصنف: ومات في التنور، وقيل: إنه أخرج فضرب فمات تحت الضرب، والأول أثبت.

ولما مات طرح على باب، فغسل عَلَيْهِ، وحفر له، ولم يعمق، فذكر أنّ الكلاب نبشته، فأكلت لحمه)[4]

وكثيراً ما يضجّ الناس من ظلم ظالم ظلمهم، لكنّهم لا يعلمون أنّ ذلك أثر وضعي لظلمهم، إمّا للزوجة بغصب إرثها مثلاً أو إيذائها، (أو ظلمها الزوج)، أو الجار، أو الابن والبنت، أو الشريك أو المنافس، أو حتى العدو؛ ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى**[5]﴾.

فإنّ الله عادل منتقم، ولئن لم ينتقم من الظالم المتنمّر في الدنيا، فإنّ انتقامه في الآخرة أشدّ وأخزى.

ولكن ما هي الحلول؟

والسؤال هو: كيف نواجه التنمّر والمتنمّرين، سواء في المدارس والجامعات أم في البلاد الغربية أم في الأسواق والوزارات والشركات والمؤسسات؟

والجواب: هنالك طرق متنوّعة ومتعدّدة، نقتصر في هذا البحث الموجز على اثنتين من أهمّها:

أ- أصعد إلى القمة وسيركض المتنمرون خلفك!

أوّلاً: حاول أن تصعد إلى أعلى قمّة ممكنة في جبال العلم والمعرفة أو المهارة والكفاءة.

---

١ وهو مبلغ مذهل في ذلك الزمن.

٢ انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٥٦- ١٦٠. والبداية والنهاية ١٠/ ٣١١. والكامل ٥/ ٢٧٩- ٢٨٠.

٣ انظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٠٢. وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٨٤.

٤ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية. بيروت: ج١١ ص٢٠١-٢٠٢.

٥ المائدة: ٨.

فكلّما تنمّروا على الطالب الجامعي أكثر، لفقره أو لتديّنه أو لغير ذلك، فعليه أن يدرس بجدّ أكبر، فإنّ درجاته في الامتحان هي أكبر شفيع له وأكبر نصير، وهو أبلغ ردّ على الذين يزدرونه وينتقصون منه.

وكذلك الطبيب والمحامي والصحفي ورجل الدين وغيرهم، إذا تعرّضوا للازدراء أو التنمّر، فإنّهم كلّما أتقنوا عملهم أكثر، وكلّما زادوا من خبرتهم وكفاءتهم، وكلّما جدّوا واجتهدوا في مراحل التطوّر العلمي والتكامل، نظر إليهم المجتمع بإكبار، ونظر إلى المتنمّرين عليهم بازدراء.

الإمام علي: «فَاتَّجِرُوا بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ» فلا يُتنمّر عليكم

وقد أرشد الإمام علي (صلوات الله عليه) الموالي إلى هذا الحل عندما تعرّضوا للتنمّر من قبل العرب بعد شهادة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والموالي هم مطلق غير العرب، كالفارسي والرومي والحبشي... إلخ.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «**أَتَتِ الْمَوَالِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فَقَالُوا: نَشْكُو إِلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) كَانَ يُعْطِينَا مَعَهُمُ الْعَطَايَا بِالسَّوِيَّةِ، وَزَوَّجَ سَلْمَانَ وَبِلَالًا وَصُهَيْباً**[1]**، وَأَبَوْا عَلَيْنَا هَؤُلَاءِ، وَقَالُوا: لَا نَفْعَلُ.**

فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليهم السلام)، فَكَلَّمَهُمْ فِيهِمْ، فَصَاحَ الْأَعَارِيبُ: أَبَيْنَا ذَلِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَبَيْنَا ذَلِكَ!

فَخَرَجَ وَهُوَ مُغْضَبٌ، يَجُرُّ رِدَاؤَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمَوَالِي، إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ صَيَّرُوكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَتَزَوَّجُونَ إِلَيْكُمْ وَلَا يُزَوِّجُونَكُمْ، وَلَا يُعْطُونَكُمْ مِثْلَ مَا يَأْخُذُونَ.

فَاتَّجِرُوا بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: الرِّزْقُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ فِي التِّجَارَةِ، وَوَاحِدَةٌ فِي غَيْرِهَا[2]».

وهكذا... فالنصيحة لكلّ متديّن أن يحاول أن يبلغ أعلى القمم الممكنة له في أيّ حقل دخل فيه، فيكون أفضل الأطباء أو المهندسين أو المحامين علماً وأداءً وسلوكاً، ويكون أفضل وأكمل علماء الدين العاملين والخطباء والمبلّغين: أغزرهم علماً، وأكثرهم تواضعاً، وأحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم خدمةً للناس، وهكذا. وبذلك يفقد المتنمرون البحر الذي يسبحون فيه.

ب- تعامل بصبر وأناة وحلم وصفح مع المتنمرين

---

١ أي زوجهم من نساء عربيات.

٢ الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران: ج٥ ص٣١٨.

ثانياً: تعامل بحلم وصبر وأناة وسعة صدر وإغماض وعفو وصفح مع المتنمّرين، فإنّ الصبر عاقبته حلوة، وبالحلم يمكنك أن تكتسب قلوبَ حتى ألدّ الأعداء، وإن كان ذلك بعد حين؛ لذلك احتاج الأمر إلى صبر، فهذه أفضل طريقة لترويض المتنمّرين عبر معادلة الأخلاق والحب والإحسان.

قصة السيد الأمين في حي الأمين مع المتنمرين

وفي قصة السيد محسن الأمين عِبرة من أكبر العِبَر في كيفية التعامل مع المتنمّرين، حيث إنّه عندما استقرّ في سوريا، في دمشق منطقة حي الأمين، الذي سُمّي باسمه لاحقاً، فوجئ بأنّ بعض أهل الحي، وكانوا من السلف والعامة المتعصّبين، قد وضعوا مخطّطاً خبيثاً لإيذائه وطرده، وهو أنّهم أغروا به أطفالهم؛ فكان عندما يخرج من منزله يلاحقه الأطفال بالاستهزاء، وقد يجرّ أحدهم عباءته، وقد يضربه بعضهم من بعيد بحصاة أو نعال؛ وذلك ممّا لا يتحمّله عادةً أحد، لكنّه تحمّل وتحمل وتحمل، واستمرّ على هذه الحال فترة طويلة جدّاً.

يقول أحد الأشخاص: زرته بعد عشر سنين من استقراره في المنطقة، فوجدت الناس، العامة، يتهافتون عليه لتقبيل أياديه والتبرّك به، فسألته مستغرباً: هل هؤلاء آباء وإخوة نفس أولئك الأطفال الذين كانوا يضايقونك ويتنمّرون عليك؟

قال: نعم! قلت: كيف؟

قال: صبرت على أذاهم ولم أردّ السيئة بالسيئة، بل عاملتهم بمنتهى اللطف؛ فإذا مرض أحدهم عدته، وإذا مات له قريب شيّعته، وإذا حدثت لهم مشكلة حاولت حلّها، أو نزاع حاولت الإصلاح بينهم... وهكذا ترى حصيلة جهد فترة طويلة من العمل بقوله تعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ * وَما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظيمٍ**[1]﴾.

الفصل الثاني: التنمّر على المتديّنين

ومن أبرز ألوان التنمّر: التنمّر على المتديّنين بتوجيه أنواع التهم عليهم، أو تسقيطهم وإثارة الإشاعات المغرضة ضدّهم، وغير ذلك من ألوان الإيذاء والتضييق... ولنضرب لذلك نموذجين:

ماذا قدمت للعالم؟

الأوّل: كثيراً ما نجد المتنمّر يقول للمتديّن: إنّ أينشتاين وضع أسس النظرية النسبية، وإنّ إديسون اخترع

---

١ فصلت: ٣٤-٣٥.

المصباح، وفلان صنع الطائرة، وأنت المتديّن ماذا صنعت؟

الجواب:

والجواب أوّلاً: نقضاً، نقول له: وأنت المتنمّر ماذا صنعت؟ يا ليتك كنت أنت الذي صنعت الطائرة أو الحاسوب أو اكتشفت علاج كورونا ونحو ذلك؛ لكي يحقّ لك أن تتنمّر عليَّ، فأنا وأنت إذاً سواء في أسوأ الفروض، فلا علمانيتك صنعت منك شخصاً مميّزاً مخترعاً أو مكتشفاً، ولا تديّني صنع منّي فرضاً، مخترعاً أو مكتشفاً.

ثانياً: حلّاً، فلو فُرض أنّ شخصاً مثل أينشتاين وجّه إلينا هذا السؤال: أنتم أيّها المتديّنون، ما فائدتكم؟ فنقول: هنالك خمسة إجابات على الأقل، نقتصر الآن على إحداها فقط، إذ نقول: إنّ العلم الحديث كلّه، وبتصريح أكابر علمائه، مدين للحضارة الإسلامية أبلغ الدَّين؛ ذلك أنّ الحضارة الغربية الحديثة كلّها بُنيت على أكتاف علماء المسلمين، فهم تلامذتها، ومنّا تعلّموا العلوم طوال خمسة قرون.

ولكنّ الدهر يدور، فقد يصبح التلميذ أستاذاً، والأستاذ تلميذاً، وقد تنقلب الأمور بعد الآن ربما بعد عقود، فيعود الأمر كما كان.

الحضارة العالمية الحالية مبنية على أكتاف المسلمين

ولا ندّعي ذلك نحن ادّعاءً، بل ذلك ما شهد به العشرات من كبار علمائهم، ويكفي الآن أن نقتبس بعض تصريحات المؤرّخ الأمريكي الشهير ويل ديورانت مع زوجته أرييل.

ففي الجزء الرابع: عصر الإيمان (The Age of Faith)، قدّم اعترافات تاريخية مهمة بإسهام الحضارة الإسلامية في تأسيس العلوم وتطويرها وانتقالها إلى أوروبا.

ومن أبرز ما كتبه:

١. المسلمون قادوا العالم علمياً

يقول ديورانت:

For five centuries, from ٧٠٠ to ١٢٠٠ ... Islam led the world in scholarship, science, medicine, and philosophy.

أي: «على مدى خمسة قرون، من سنة ٧٠٠ إلى ١٢٠٠، قاد الإسلام العالم في العلم والطب والفلسفة والأدب والمعرفة».

٢. المسلمون نقلوا العلوم إلى أوروبا وطوّروها

ويقول:

Moslem science preserved and developed Greek mathematics, physics, chemistry, astronomy, and medicine, and transmitted this Greek heritage, considerably enriched, to Europe.

أي: «حافظ العلم الإسلامي على الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والطب اليوناني وطوّرها، ثم نقل هذا التراث اليوناني إلى أوروبا بعد أن أغناه كثيراً».

٣. الكيمياء

يقول ديورانت:

Chemistry as a science was almost created by the Moslems.

أي: «إن الكيمياء بوصفها علماً كادت أن تكون من إنشاء المسلمين».

ثم يشير إلى إدخالهم الملاحظة الدقيقة والتجربة المنضبطة وتسجيل النتائج).

وحسب بعض الباحثين: (أثَّر علماء المسلمين بشكل عميق وحاسم في صياغة النهضة الأوروبية والتطور العلمي الحديث في الغرب؛ حيث كانت الجامعات والمراكز العلمية الإسلامية في الأندلس مثل قرطبة وصقلية وبغداد مناراتٍ استقطبت طلاب العلم من جميع أنحاء أوروبا.

لقد اقتبس الغرب العلوم الإسلامية من خلال حركة ترجمة واسعة بدأت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، حيث تُرجمت المصنفات العربية إلى اللاتينية، واعتُمدت كأكاديمية ومناهج دراسية أساسية في جامعات أوروبا الناشئة (مثل باريس، وأكسفورد، وبولونيا) لعدة قرون.

فيما يلي تفصيل لأبرز الاختصاصات العلمية، والعلماء المسلمين الذين برعوا فيها، وكيفية اقتباس الغرب لإنجازاتهم:

١- الطب والصيدلة

كان للطب الإسلامي الفضل الأكبر في إعادة تنظيم الممارسة الطبية في أوروبا بناءً على المنهج التجريبي والتشريحي والسريري.

- **ابن سينا:(Avicenna)**

- **اختصاصه** :الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية.
- **اقتباس الغرب منه** :ألّف موسوعة "**القانون في الطب** "التي تُرجمت إلى اللاتينية وظلت المرجع الأساسي والكتاب المدرسي الأول في جامعات أوروبا (مثل جامعة مونبلييه ولوااان) حتى أواخر القرن السابع عشر. اقتبس الغرب منه تصنيف الأمراض، واكتشاف العدوى عن طريق الماء والتربة، وطرق الفحص السريري.

- **أبو بكر الرازي:(Rhazes)**
  - **اختصاصه** :الطب السريري والكيمياء الطبية.
  - **اقتباس الغرب منه** :كتاباه "**الحاوي في الطب** "و**"الجدري والحصبة"** تُرجمت للاتينية؛ وكان أول من فرّق بين مرضي الجدري والحصبة بوضوح علمي. اقتبس الغرب منه الملاحظة السريرية الدقيقة للمريض، وتأسيس أولى قواعد إدارة المستشفيات وصناعة الأدوية.
- **ابن النفيس:**
  - **اختصاصه** :الطب والتشريح.
  - **اقتباس الغرب منه** :اكتشف **الدورة الدموية الصغرى (الرئوية)** وفنّد نظريات جالينوس القديمة. اقتبس العلماء الغربيون (مثل ويليام هارفي ومايكل سيرفيتوس) هذه النظرية لاحقاً لبناء فهمهم الحديث لكيفية عمل القلب والرئتين.

٢- الرياضيات (الجبر وحساب المثلثات)

أعاد المسلمون صياغة علم الرياضيات، ونقلوه من مجرد هندسة نظرية يونانية إلى علوم حسابية وتطبيقية مبسطة.

- **محمد بن موسى الخوارزمي:(Algoritmi)**
  - **اختصاصه** :الرياضيات والفلك.
  - **اقتباس الغرب منه** :يُعتبر **مؤسس علم الجبر**؛ واقتبس الغرب اسمه ليصبح مصطلح **الخوارزميات (Algorithms)** الأساس العلمي لعلوم الحاسوب اليوم. كما نقل الغرب عنه نظام الأرقام العربية والصفر، وكتابه "الجبر والمقابلة" تُرجم للاتينية واستُخدم كقاعدة للعمليات الحسابية في أوروبا.
- **البتاني:(Albatenius)**

- **اختصاصه** :حساب المثلثات والفلك.
- **اقتباس الغرب منه** :هو من طوّر **علم حساب المثلثات** وجعله علماً مستقلاً عن الفلك (أدخل مفاهيم الجيب وجيب التمام). اقتبس الغرب منه هذه القوانين الرياضية، والتي اعتمد عليها الرياضيون الأوروبيون مثل "ريجيومونتانوس" لتطوير الهندسة الحديثة.

٣- الفيزياء والبصريات

قامت الفيزياء الحديثة في الغرب على مبدأ التجربة والبرهان الذي وضعه علماء المسلمين.

- **الحسن بن الهيثم:(Alhazen)**
  - **اختصاصه** :علم البصريات (الضوء) والفيزياء التجريبية.
  - **اقتباس الغرب منه** :يعتبر **أبو البصريات الحديثة** ومؤسس المنهج العلمي التجريبي. في كتابه **"المناظر"**، أبطل نظرية اليونان بأن العين هي من تُصدر الضوء، وأثبت أن الرؤية تحدث بانعكاس الضوء من الأشياء إلى العين. اقتبس منه العلماء الغربيون (مثل روجر بيكون، وكبلر، وديكارت) نظرياته لتطوير صناعة النظارات، التلسكوبات، الكاميرات (القمرة)، وقوانين انكسار الضوء.

٤- الكيمياء

حوّل المسلمون الكيمياء من مجرد أساطير ومحاولات لتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب (الخيمياء) إلى علم تجريبي دقيق يعتمد على المختبر.

- **جابر بن حيان:(Geber)**
  - **اختصاصه** :الكيمياء التجريبية والصيدلة.
  - **اقتباس الغرب منه** :يُوصف بـ **أبي الكيمياء** .اخترع عمليات التبخير، التقطير، الترشيح، والتسامي. اكتشف حمض الكبريتيك والنتريك وماء الذهب. تُرجمت كتبه بكثافة إلى اللاتينية، واقتبس الغرب منه المنهج المختبري الصارم وتسميات المواد (مثل الكحول والقلويات والزئبق).

٥- الفلك والجغرافيا

ساهمت المصنفات الإسلامية في رسم الخرائط وتصحيح الحسابات الفلكية القديمة، مما مهد لحركة الكشوف الجغرافية الأوروبية.

- **الشريف الإدريسي:**

- **اختصاصه** :الجغرافيا ورسم الخرائط.
- **اقتباس الغرب منه** :رسم خرائط دقيقة للعالم (منها أول مصور كروي مرسوم على الفضة بطلب من ملك صقلية روجر الثاني). اعتمدت أوروبا لقرون على كتابه **"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"**؛ واقتبس البحارة الأوروبيون (ومنهم كولومبوس لاحقاً) خرائطه وحساباته لتوجيه رحلاتهم الاستكشافية.

- **الزرقالي:(Arzachel)**
  - **اختصاصه** :صناعة الآلات الفلكية (الأسطرلاب).
  - **اقتباس الغرب منه** :اخترع أسطرلاباً متطوراً يُعرف بـ "الصفيحة الزرقالية". اقتبست أوروبا حساباته المعروفة بـ **"الجداول الطليطلية** "والتي استخدمها الفلكيون الأوروبيون لتحديد مواقع الكواكب وحساب أوقات الكسوف والخسوف بدقة.

٦- علم الاجتماع والتاريخ

- **ابن خلدون:**
  - **اختصاصه** :التاريخ والفلسفة والاجتماع.

اقتباس الغرب منه :وضع في كتابه الشهير **"المقدمة** "القواعد الأساسية لـ **علم الاجتماع وفلسفة التاريخ** (العمران البشري). اقتبس علماء الغرب الحديثون (في القرنين ١٩ و٢٠ مثل أوجست كونت وتوينبي) نظرياته في نشوء الدول وسقوطها وتأثير البيئة والاقتصاد على سلوك المجتمعات البشري)، وراجع الملحق (١).

وسيجد الباحث الكريم في الملحق شواهد أخرى.

كيف تقولون أنّ أينشتاين و... يدخلون النار؟

الثاني: التنمّر على المتديّنين بأنّكم تقولون إنّ أينشتاين ونيوتن وإديسون... إلخ يدخلون النار، مع أنّهم قدّموا خدمات عظيمة جدّاً للبشرية فكيف يعقل ذلك؟

الأجوبة

والجواب من خمسة وجوه:

١- هذه تهمة للمتديّنين

أوّلاً: هذه تهمة للمتديّنين، فمن قال إنّنا نقول بأنّ تلك الأسماء تدخل النار؟ فإنّ الأمر فيمن يدخل الجنّة ومن يدخل النار علمه عند الله عزّ وجلّ، وكما قال نبي الله موسى (عليه السلام) في حواره مع فرعون: ﴿**قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى * قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي في كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسى**[1]﴾.

وإنّما نحن نقول كبرى كلّية معلّقة في الفضاء[2]، وهي أنّ الكافر المعاند يدخل النار، وأمّا أنّه هل أينشتاين معاند أو لا، فممّا لا نعلمه ولا نبتّ فيه أصلًا.

بل من الثابت حسب الروايات أنّ كثيراً من الكفّار يهتدون في أواخر حياتهم، بل بعضهم قد يهديه الله تعالى إلى الحقّ قبيل لحظات الاحتضار، كما أنّ العكس كذلك أيضاً؛ إذ لا نحتم على الله تعالى أن يدخل هذا المسلم (السياسي أو غيره) الجنّة؛ إذ لا نعلم خفايا نوايا وأفعال الناس ولا عواقب أمورهم، فإنّ بعضهم يكون سيّئ العاقبة.

ومن المسلّم حسب الروايات أنّ بعض الناس إيمانهم مستعار، فقد يكون تاجراً أو وجيهاً أو عالماً، لكنّه مستعار الإيمان، وذلك نظير الواقفية والشلمغاني.. إلخ، فقد يكون مؤمناً صالحاً، ثمّ يسقط في امتحان الشهرة، أو الرئاسة، أو المال، أو الجمال، أو السلطة وظلم الناس، لا سمح الله.

٢- لاحظ الجوانب المظلمة في حياة المخترعين والمكتشفين

ثانياً: إنّك لا تعلم الجانب المظلم من حياة الشخصيات التي قدّمت خدمات كبيرة جدّاً للبشرية، فما أدراك؟ فلعلّه فَعَلَ ما يستحقّ به نار جهنّم ألف مرّة لو اطّلعت على حاله أنت! ولنضرب لذلك بعض الأمثلة الواضحة:

النموذج الأوّل: فريتز هابر (١٨٦٨-١٩٣٤)

فإذا لاحظت إيجابيات هذا العالم الكيميائي، فإنّك ستجده قدّم خدمة مذهلة للبشرية، فلاحظ:

(فريتز هابر

كيميائي ألماني حصل على نوبل الكيمياء سنة ١٩١٨.

* ابتكر طريقة تركيب الأمونيا من النيتروجين والهيدروجين.

* أتاحت هذه العملية إنتاج الأسمدة النيتروجينية صناعيًّا.

---

١ طه: ٥١-٥٢.

٢ فضاء التقدير الإلهي.

* ساهم عمله في زيادة الإنتاج الزراعي وإطعام أعداد هائلة من البشر.

*كان إنجازه أساساً لتطوّر الصناعة الكيميائية الحديثة).

وهذا يعني أنّه كان وراء إطعام مئات الملايين من البشر، والحيلولة دون وقوع مجاعات يروح ضحيتها مئات الملايين وأكثر، خاصّةً وأنّ أعداد البشر ازدادت بسرعة رهيبة منذ عام ١٩٢٠م حتى الآن ٢٠٢٦م.

عام ١٩٢٠ ⟵ مليار وتسعمائة مليون.

عام ٢٠٠٠ ⟵ ستة مليارات و١٧٠ مليوناً.

عام ٢٠٢٦ ⟵ ثمانية مليارات و٣٢٠ مليوناً.

فإذاً، وحسب هذه المعلومة، فإنّك ستقول: لا بدّ أنّه سيدخل الجنّة، ولا يُعقل أن يدخل النار. ولكن إذا قرأت بقيّة سيرته الذاتية، فسيتغيّر تقييمك تماماً، فلاحظ:

(* قاد تطوير استخدام الغازات السامّة في الحرب العالمية الأولى.

* أشرف على أولى الهجمات الألمانية بالكلور في معركة إيبر سنة ١٩١٥.

* وضع علمه الكيميائي في خدمة الحرب والأسلحة الكيميائية.

* ومن المفارقات أنّ العالم الذي ساهم عمله في زيادة إنتاج الغذاء، ساهم بشكل رئيسي في تطوير أسلحة تقتل البشر[١].

(في معركة إيبر الثانية (Second Battle of Ypres) في بلجيكا، يوم ٢٢ أبريل/نيسان ١٩١٥، استخدمت ألمانيا غاز الكلور لأول مرة على نطاق واسع في الحرب العالمية الأولى.

عدد الضحايا:

تختلف التقديرات التاريخية، وأبرزها:

التقدير	عدد الضحايا
المصابون بالغاز	أكثر من ١٠,٠٠٠ جندي
الوفيات	نحو ٥,٠٠٠ وفق تقدير المتحف العسكري البريطاني

تقديرات تاريخية أحدث ٨٠٠–١,٤٠٠ وفاة، و٢,٠٠٠–٣,٠٠٠ مصاب

المصدر الأخير يستند إلى دراسة تاريخية متخصّصة في الهجوم الكيميائي على إيبر.

---

١ جمعية ماكس بلانك – Fritz Haber، وموسوعة الحرب العالمية الأولى.

ملاحظة مهمّة: هناك خلط بين:

ضحايا الهجوم الأول بالكلور في ٢٢ أبريل.

ضحايا الهجمات الكيميائية اللاحقة.

مجموع ضحايا معركة إيبر الثانية التي استمرت حتى مايو.

الخلاصة: لا يوجد رقم متّفق عليه لقتلى هجوم الكلور الأول، والتقديرات تتراوح بصورة كبيرة، ولا يصح الجزم بأنّ ٥,٠٠٠ جندي ماتوا بالغاز[١].

فلاحظ أنّه قاد تطوير استخدام الغازات السامّة... وأشرف على أولى الهجمات... أي إنّه مجرم عن سابق عزم وإصرار.. ولاحظ أنّ الغازات السامّة التي كان فريتز من أهم واضعي أسسها قد تقتل في مستقبل ذلك التاريخ وحتى نهاية العام مئات الملايين من البشر.

النموذج الثاني: (ليوبولد الثاني: ١٨٣٥–١٩٠٩)

ملك بلجيكا، وقد حكم دولة الكونغو الحرّة بوصفها ملكية شخصية له بين ١٨٨٥ و١٩٠٨.

الإيجابيات المنسوبة إلى عهده في بلجيكا:

* شهدت بلجيكا توسّعاً في المنشآت والمباني العامة.

* دعم المشروعات العمرانية والإنشائية.

* توسّعت بعض البنية التحتية في بلجيكا خلال فترة حكمه.

ولكن عليك أن تضع ذلك إلى جانب السلبيات:

* أتخذ ليوبولد الثاني الكونغو مجالاً لاستغلال ثرواتها، خصوصاً المطاط والعاج بدون رضا شعبها بل بالإكراه والعنف.

* فرض نظام العمل القسري على السكان.

* استخدمت قواته العنف والتعذيب وأخذ الرهائن.

* وثّقت التقارير قطع أيدي كثير من السكان ومعاقبتهم بوحشية.

* تشير تقديرات تاريخية إلى موت ملايين الكونغوليين خلال حكمه، مع اختلاف الباحثين في العدد الدقيق.

---

١ للمزيد: المتحف الحربي الكندي – معركة إيبر الثانية.

ملاحظة: لا يصحّ اعتبار أيّ منشآت أُنشئت في بلجيكا مقابلًا أخلاقيًّا لما وقع في الكونغو[١].

وبتوسع أكثر: تتفاوت تقديرات ضحايا حكم الملك البلجيكي ليوبولد الثاني للكونغو تفاوتاً كبيراً، لكن الأرقام كلها على مستوى الملايين.

أقل وأكثر التقديرات

التقدير عدد الضحايا

تقديرات منخفضة ١—٣ ملايين

تقديرات متوسطة ٥ ملايين

التقدير الأشهر ١٠ ملايين

تقديرات مرتفعة ١٠—١٣ مليوناً

تقديرات قصوى متداولة ١٥ مليوناً

هذه تقديرات تاريخية وديموغرافية متفاوتة القوة، وليست أعداداً موثقة للقتلى.

لماذا ماتوا؟

من أبرز الأسباب:

١. القتل والتعذيب على يد القوات الاستعمارية.

٢. قطع الأيدي والأطراف.

٣. إجبار السكان على جمع المطاط تحت التهديد.

٤. التجويع بسبب إجبار الرجال على العمل وترك الزراعة.

٥. انتشار الأوبئة والأمراض.

٦. انهيار الولادات بسبب تفكك المجتمعات والنزوح.

٣- الله تعالى عادل فيعطي لهم حقوقهم كاملة

ثالثاً: إنّ الله تعالى عادل، يعطي كلّ ذي حقّ حقّه، وقد قال تعالى: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**[٢]﴾، بل قال: ﴿**فَمَنْ**

---

١ OpenStax – Exploitation and Resistance، و Harvard CEPR – King Leopold's Ghost.

٢ الشورى: ٢٠.

يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ[1]﴾.

فكلّ من خَدَمَ البشرية، فإنّ الله تعالى يعطيه أجره في الدنيا، فيعطيه مثلاً شهرة بلا حدود، كشهرة أينشتاين وإديسون ونيوتن ومدام كوري و...، والكلّ يعلم أنّ بعض الناس يستعدّ بأن يضحّي بأموال ضخمة جداً بل حتى بكلّ ثروته لأجل الحصول على الشهرة، أو يعطيه الله تعالى أموالاً بحسب مردود صناعاته وإنتاجه أو أكثر... والكلّ يعلم أنّ المكتشفين والمخترعين يحصلون على براءات اختراع وثروات هائلة... أو يعطيه سلطة ونفوذاً يعادل خدمته... فماذا يطلب بعد ذلك من الله تعالى؟

بل نقول: لو فُرض أنّ أجره في الدنيا، من أموال وشهرة وسلطة... لم يفِ بحقّه، فإنّ الله تعالى يعطيه في الآخرة أجره كاملاً... فيبقى بعد ذلك أنّ عليه أن يخضع للعقوبة على سيّئات أعماله، وعلى عناده ولجاجه رغم وضوح الحقّ لديه.

٤- والمعاند، القرار بيده فقد عاد الأمر إليه

رابعاً: ما سبق تفصيله من أنّ الكافر القاصر، وعند بعض العلماء والمقصّر أيضاً، يُعاد امتحانه من جديد، أي له (دور ثانٍ) حسب المصطلح، أمّا المعاند فإنّه يُترك وما اختار، فراجع.

٥- وللخالق حق، لا للمخلوقين فقط

خامساً: إنّ من المستقلّات العقلية أنّ من له عليك حقّ، فعليك أن تقابله بالمثل بقدر حقّه، فإذا كان هناك مخلوق له عليك حقّ، كما لو أقرضك مالاً عند حاجتك، فيجب عليك أن تقرضه عند حاجته إن استطعت، ولو كان له عليك حقّ الحياة، كما لو أنقذك من موت محتمّ مجاناً، فإنّك مهما بذلت له، لا تؤدّي حقّه.

والغريب أنّ الطرف الآخر يُذعن بحقّ الناس عليه، ولكنّه لا يُذعن بحقّ الخالق عليه!

ولكن نقول: هنا منفصلة حقيقية: فإمّا أن تقول: الله خالق وله جنّة ونار، أو تقول: لا، ليس الله خالقاً، ولا هنالك جنّة ولا نار.

فإن قلت بالثاني، فلا مجال للاعتراض؛ إذ تقول: لا نار أصلاً، إذاً لا توجد نار كي يدخل فيها أينشتاين فرضاً، كي تعترض على الله تعالى!.

وإن سلّمت أنّ الله خالقنا، إذاً له علينا حقّ الحياة والسمع والبصر وألف شيء وشيء بل كلّ شيء،

---

١ الزلزلة: ٧-٨.

فكيف يكون للحكومات، ولنفترضها منتخبة حقّاً من الناس، أنْ تضع قوانين للبلاد (من يدخل، ومن يُطرد، ومن يُسجن إذا فعل كذا، ومن يُعدم إذا فعل كذا)، ولا تعترض، ولا يكون لله تعالى الحقّ، بنظرك، في أن يضع قوانين لمملكته التي خلقها بالكامل (من يعمل كذا فله الجنّة، ومن يعاند في العقائد فجزاؤه النار)؟.

تلك إذاً قسمة ضيزى.

ما هي فائدة طرح مثل هذه الشبهات؟

بقي سؤال قد يطرحه بعض، وهو: ما فائدة طرح مثل هذه البحوث؟

الجواب: أوّلاً: إرواءً للعطش المعرفي، فكما لا يصحّ الاعتراض على الناس بأنّه لماذا تدرسون وتدرسون معلومات مثل: (أن بُعد الأرض عن الشمس حوالي ١٥٠ مليون كيلومتر، وسرعة الضوء حوالي ٣٠٠ ألف كيلومتر أو ١٨٦ ألف ميل بالثانية، أو...)، مع أنّها لا تفيدكم؟ إذ الجواب أنّ الفائدة تارة عملية وأخرى علمية، فكذلك الجواب عن مثل هذه الشبهة.

ونضيف: هب أنّك لا تهتمّ بمثل هذه الشبهة وجوابها، فلا تستمع لها، لكنّ الكثيرين يهتمّون، وخطابنا معهم.

ثانياً: إنّها تشكّل للمتديّن جواباً على شبهة مهمّة.

ثالثاً: ولها فائدة سلوكية أيضًا مهمّة؛ إذ لو أنّ الإنسان كان له أن يحكم على هذا بأنّه كافر معاند يدخل النار حتماً، فكيف يُحسن إليه ويبرّه؟ ولكن قلنا: نحن نعلم الكبرى الكلية، ولا نعلم حال زيد أو عمرو، فلعلّه يدخل الجنّة بتوبة لاحقة أو هداية ربّانية في آخر أيّامه أو أمر آخر كالشفاعة مثلاً.

ومع الإذعان بذلك يسهل على المؤمن امتثال هذه الآية الشريفة والعمل بها: ﴿**لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطين**[1]﴾.

وتترتّب على ذلك ثمرة أخرى، وهي أنّ كسر الحاجز النفسي وبرّهم، الذي يعني الإحسان إليهم واللطف بهم، وأيضاً إيصال الخير إليهم والقسط إليهم، والذي يعني التعامل معهم بعدل وإنصاف، كثيراً ما يخفّف عداءهم للإسلام والتشيّع، بل كثيراً ما يسبّب هدايتهم إلى سواء السبيل: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا**

---

١ الممتحنة: ٨.

الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ * وَما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظيمٍ[1] ﴾.

وفي الحديث: «**كُونُوا دُعَاةً لِلنَّاسِ بِالْخَيْرِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ، لِيَرَوْا مِنْكُمُ الِاجْتِهَادَ وَالصِّدْقَ وَالْوَرَعَ**[2]».

آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين

يمكن ملاحظة الدرس والتقرير على الموقع التالي: m-alshirazi.com

الملحق (١)

عصر الإسلام الذهبي.. أثر علوم العرب في حضارة الغرب

الملحق: كتب بعض الباحثين في (الوثائقية):

كان ابن سينا أول من كتب في الطب، والخوارزمي أول من وصل إلى علم الجبر، في حين مهد الطوسي الطريق للغرب في علم الفلك، وغيرهم برهنوا على خدمة الإسلام للعلم.

ومن هنا قدم البروفسور جيم الخليلي أستاذ الفيزياء في جامعة سوري الثلاثية الوثائقية "العلم والإسلام"،...

قدم البروفيسور الخليلي في الجزء الأول علاقة التوافق بين الأبجدية والهيروغلوفية المصرية، وبين دور اللغة العربية في خدمة العلم، وتناول الفيلم الأرقام والحسابات، وتكلم الخليلي عن فضل الخوارزمي في الحساب عندما برهن للغرب أن طريقتهم آنذاك القائمة على الأرقام الرومانية خرقاء وغير فعالة، وقد شرح الخليلي ذلك على الشاشة من خلال التطبيق الحسابي.

وأشار كذلك إلى تعلم الأوروبيين من الخوارزمي فكرة كبيرة، وهي التعبير عن أي رقم من خلال عشرة أرقام (من رقم ٠ إلى ٩)، وتحدث عن الفاصلة العشرية، وفي سياق الحديث عن موقف الإسلام من العلم أكد أن الرسول محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كان يحث أتباعه على طلب العلم.

حركة الترجمة.. إرث اليونان الذي طوره اللسان العربي

وبالإضافة إلى ذلك تحدث عن الدور الذي لعبته اللغة في توحيد الدولة الإسلامية من منطلق القضاء على الروتين والبيروقراطية. ولفت النظر إلى أن اللغة العربية هي أثبت اللغات مقارنة بالإنجليزية التي تغيرت

---

١ فصلت: ٣٤-٣٥.

٢ الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران: ج٢ ص١٠٥.

كثيرا.

كما تحدث عن حركة الترجمة من خلال بحث الدولة الإسلامية عن المخطوطات والكتب اليونانية وترجمتها إلى العربية. فمن العلماء المسلمين الذين جابوا في الكتابات اليونانية لتطوير الحركة العلمية ابن سينا، وهو أول من كتب عن الطبّ في العالم، فلقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

قياس محيط الأرض.. ثورة الرياضيات في خلافة المأمون

قدم الخليلي في الجزء الثاني شرحا مفصلا عن القياس في الدولة الإسلامية، وأعطى مثالين عن تقنية القياس، الأول هو قياس منسوب النيل، والثاني عن قياس حجم الأرض، وأكد على هذا المثال من خلال شرح كيفية الوصول إلى هذا الطموح الإسلامي.

وعندها وضح كيفية وصول البيروني لقياس محيط الأرض، بعد أن كان مهووسا بالعلوم الرياضية، وبذلك وصل لنتيجة أن الرياضيات تمكن البشرية من فهم الكون.

وسلط البروفيسور الخليلي الضوء على المكونين الأساسيين لولادة المنهج العلمي، أما المكون الأول فهو إتقان الرياضيات المعقدة. والمكون الثاني هو اتباع التجريب في العلم.

من السحر إلى العطور والسلاح.. تطور فن الكيمياء

انتقل البروفيسور الخليلي إلى الكيمياء، ليوضح كيف انتقلت الكيمياء من مرحلة ممارستها في السحر إلى الممارسة العصرية والمفيدة.

وعدد المجالات التي استفاد منها المسلمون في الكيمياء، فقد بدأت من صناعة العملة العربية الموحدة، ثم صناعة الصابون، فتقنية تغيير الزجاج المساعدة في فن الزخرفة العمرانية، وبعدها تركيب العطور، وصولا إلى صناعة الأسلحة.

كما أكد على دور الحسن ابن الهيثم في ربط الفيزياء بالرياضيات من خلال الضوء والرؤية، حيث فسر فيها الفيزياء بشكل حسابي، وبعبارة أخرى قدم تفسيرا هندسيا للضوء.

علم الفلك.. مشعل البتاني وابن الشاطر الذي حمله "كوبرنيكوس"

وروى قصة كتابات العالم البولندي "كوبرنيكوس" المعتمد على العالم الفلكي المسلم محمد بن جابر بن سنان البتاني الذي راقب الأجرام السماوية، وتقلبات قرص الشمس ومواقع القمر والشمس من خلال

أدوات قياسية بسيطة، وهي الذراع الفلكية والإسطرلاب.

كما اعتمد "نيكولاس كوبرنيكوس" على العالم المسلم الآخر البارع في الفلك ابن الشاطر الذي قضى معظم حياته في وظيفة التوقيت، ورئاسة المؤذنين في الجامع الأموي بدمشق، وصنع ساعة شمسية لضبط وقت الصلاة سماها "الوسيط" وضعها على إحدى مآذن الجامع الأموي.

وقد زار البروفيسور الخليلي الجامع الأموي، وبحث عن ساعة ابن الشاطر، وصوّر لنا كيفية الوصول إليها، مع إبقائه لاحتمالية أنها نسخة عنها، وقام ابن الشاطر على تصحيح نظرية بطليموس عالم الفلك اليوناني، بعد أن شكك في صحتها.

وبعدها جاب في نقد الطوسي لمركزية الأرض وهي نظرية إغريقية، ليصل إلى أهمية التشكيك في العلوم السابقة.

انحدار العالم الإسلامي وظهور الاستعمار.. تقلبات الحضارة

أجاب البروفسور الخليلي في سلسلته الوثائقية عن تساؤلين يشغلان بال كل من يتابع هذا الماضي الباذخ بالعلوم، أما السؤال الأول فهو: ما سبب انحدار العالم الإسلامي في القرن الخامس عشر؟ فوجد أن اكتشاف أمريكا ودخول الذهب إلى مراكز السلطة في أوروبا قد لعب دورا في تحويل العلم نحوهم، لأن العلم يتبع المال مباشرة. والسبب الآخر هو الحروب والاعتداء السياسي وخسارة التجارة.

والسؤال الثاني هو: ما سبب نسيان العالم الإسلامي لتاريخهم العلمي؟ وكان الجواب في الاستعمار الأوروبي لمساحات واسعة من بلاد المسلمين.

وأخيرا، أبقى البروفسور الخليلي مساحة من الأمل عندما زار أحد الصروح العلمية المتخصصة في الوراثة والاستنساخ في إيران، وهو "معهد رويان"، ليصل في النهاية إلى أن العلم لغة البشرية.

وبذلك نجح من خلال ثلاثيته الوثائقية في الوصول إلى العلاقة الوثيقة بين العلم والإسلام، وتقديم رؤية إخراجية بأسلوب إقناعي علمي، عن طريق التجريب والتطبيق لعمليات واختراعات قديمة تلامس الحاضر وتبين أهميتها في ذلك الوقت من الزمن، خدمة للحركة العلمية العالمية)[1].

وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين

---

١ المصدر: خاص-الوثائقية https://www.aljazeera.net